

خطاب أمير المؤمنين صاحب الجلالة

جواباً عن تهنئة العلماء المسلمين الذين حضروا إلى المغرب بمناسبة الاحتفال بذكرى مرور 14 قرناً على نزول القرآن

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه

حضرات العلماء :

إننا نشكر لكم باسم شعبنا المغربي العربي المسلم استجابتكم لدعوتنا لحضور احتفالنا بذكرى نزول القرآن، وبالأخص بذكرى مرور 14 قرناً على نزوله على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وقد رأينا في حلولكم بالمغرب جزراً للتاريخ، فعادة كان المد التاريخي هو أن يزور المغاربة المشرق ويشدون الرحال لحج بيت الله الحرام فينزلون ضيوفاً وطلبة وأساتذة على إخوانهم بتونس وليبيا وبلاد الكنانة والشام والبلاد العربية السعودية وبالعراق، وكانوا حينما يعودون إلى أوطانهم يرجعون متحلين بحليتين : علمهم، وطابعهم المغربي، والقرائح الخصبة التي وجدوها عند إخوانهم في المشرق، تلك القرائح التي أمكنها أن تنجب بكل تواضع بعضاً من العلماء كان لهم الصيت الذائع في الدين والفقه والتفسير والحديث.

إن احترامنا لمبادىء القرآن وتشبثنا بتعاليمه ليس بالشيء الغريب، فإن أبانا محمد الخامس رحمة الله عليه أول ما وضع في يدنا قلماً وضعه لا لنخط الأحرف ولا لنرسم الرسوم رغم حداثة سننا، وإنما وضعه في يدنا لأول مرة لنكتب بسم الله الرحمن الرحيم. ولم ندخل المدرسة الابتدائية ولا الثانوية حتى قضينا في الكتاتيب القرآنية ما يزيد على أربع سنين، هذا الشيء هو الذي طبعنا به وجبلنا عليه وجبل عليه آباؤنا وأجدادنا والأجيال التي سبقتنا في هذا البلد، إننا لنأسف كل الأسف لما نراه من الأجيال الصاعدة، من الأجيال التي هي الآن المسؤولة عن دواليب الدولة في الادارة وفي السياسة لنأسف كل الأسف لجهلها للقرآن لا لنسيانها إياه، ولكن لجهلها إياه حيث يرون في القرآن محض مجمع للعبادات والنسك وللتعامل بين العبد وربه في النطاق الضيق، ولو نفذوا بأبصارهم وبصيرتهم إلى القرآن وحللوا سوره وتفاصيله ومجمله لوجدوا فيه فضيلة الفرد داخل بيته، والسلوك المستحسن للجماعة مع مواطنيها، والتعامل الصالح الخالص البناء للمجموعات البشرية كيفما كانت ألوانها ولغاتها والقارات التي يسكنون بها.

وإننا لنجد ونجتهد لا لنعيد لهذا الكتاب العزيز مجده والتعامل به، فالله سبحانه وتعالى قد تكفل بذلك، فالله خير حافظ للقرآن وهو أرحم الراحمين، ولكن جهادنا واجتهادنا هو العمل اليومي على أن يصير كتاب الله عملة خلقية وإنسانية وقانونية ليتعامل بها جميع بني الانسان، وأملنا في الله سبحانه وتعالى أن يحقق رجاءنا، فأي هدي أحلى وأفضل من هدى القرآن وأي حق أحق من كتاب الله ؟ فإذن من باب أولى وأحرى أن يجتمع المسلمون على كتاب الله، نعم كما يقول المثل العربي : لكل فرس كبوة، ولكل سيف نبوة، ولكن الله سبحانه وتعالى قد تعهد لنا وترابط معنا نحن معشر المسلمين في كتابه العزيز إذ قال : إن تنصروا الله ينصركم، ونصرة الله تختلف باختلاف الأزمنة والأماكن والأجيال والملابسات والظروف السياسية، فنصرة الله ليست اليوم هي نصرة الأمس، ليست الجهاد، ليست هي نصرة الحرب ولا نصرة السيف، ولكن هي نصرة الدين الاسلامي بكتاب الله الذي هو الاشعاع الروحي، ذلك الاشعاع الذي لا تقف في وجهه مصفحات ولا دبابات ولا طائرات، ولكن من شأنه أن يقهر كل عدو وكل قوة مادية أو عسكرية كيفما كان نوعها وكيفما كانت كثرتها وشوكتها .



إننا لنرجو ـــ حضرات العلماء ـــ أن تعتبروا أنكم قمتم بزيارة هذا البلد وإخوانكم فيه من قبيل مجاملة المجاملة، ولكن قياماً بالواجب، لأن الله سبحانه وتعالى أنعم عليكم بالعلم، وأوجب عليكم تعليمه ونشره بين الناس، وقمتم بواجبكم وأديتم أمانتكم، وجعلتمونا نشعر نحن سكان المغرب الأقصى أن لنا في بقاع الأرض كلها إخواناً وأشقاء يشدون عضدنا ويؤازروننا ويساندوننا ويعطون للألفاظ والمعاني مقاييس موحدة أو يعطونها إطاراً واحداً ألا وهي مقاييس الفضيلة الاسلامية وإطار القرآن العزيز، لهذا أود أن أحملكم رسالة من شعبي ومني، رسالة آمل أن تبلغوها إلى أصحاب الجلالة وأصحاب الفخامة الملوك والرؤساء الذين هم آخذون بزمام أمركم، رسالة ود وصداقة، رسالة دعاء منا لهم ولشعوبهم، ولتذكروهم بما قلنا مرارا وتكرارا أننا قد جربنا عدة مسالك، ومنها المسالك السياسية فلم تمكنا إلى يومنا هذا من أي حل، بل لم تمكنا من الخروج من الورطة التي يتخبط فيها العالم الاسلامي وبالأخص الدول العربية منذ سنين، وليست المأساة الفلسطينية واحتلال القدس ثالث الحرمين وأولى القبلتين إلا نتيجة محتومة منطقية كانت منتظرة لما قامت به الدول العربية من تنافر ومن تخاصم ومن تنابز بالألقاب، لذا صرحنا في يوم من الأيام أن علينا أن نجرب ونستعمل كوسيلة لتوحيد الصفوف واتحاد الجهود وسيلة مساوية مقدسة ألا وهي حبل الله المتين ذلك الحبل الذي يصل الأرض بالسماء، والذي يصل قلب كل مسلم في العالم بأسره بالبقاع الاسلامية، وكنا دعونا إلى جمع شمل المسلمين حتى ينتصر بهم العرب وحتى ينتفع منهم العرب الذين يقف منهم ما يقرب من ثمانين مليوناً أمام مشكلة فلسطين، إننا إذا عززنا جانبنا بالمسلمين كافة، بعبقرياتهم المختلفة، بتعاملهم الدولي، بصداقاتهم، بأحلافهم، بطاقاتهم، أصبح بجانب العرب نصف مليار من سكان هذا المعمور. لذا دون أن يرمي نداؤنا هذا إلى أي عمل سياسي أو عسكري أو ما يشابه حلفاً أو غير حلف أو ما يدخل فيما يعتبر مناورة أو عملية أو ما أشبه ذلك، نرى واجبا علينا لنرضي ضميرنا أن نؤكد لكم ما يخالج صدرنا من أماني غالية وأمنيات قديمة ألا هي أن يجتمع المسلمون على صعيد واحد حتى يتضافروا ويتناقشوا وحتى يضعوا لتعاملهم في المستقبل إطاراً ودستوراً.

هناك بعض الناس يقولون ليس في الامكان أبدع مما كان، ولكن هذه فلسفة مخالفة تماماً لتعاليم الاسلام، فتعاليم الاسلام ترمي قبل كل شيء إلى أن يكون المسلم طموحا تواقاً في نطاق الحكمة وفي نطاق إمكانياته وفي نطاق تخطيط برنامج من شأنه أن يصل إلى الأهداف بعد سنة أو سنتين أو ثلاث سنوات أو عشر سنوات، المهم هو أن نبدأ بعمل، ربما يظهر عملا سلبياً، ولكنه في الحقيقة عمل إيجابي، ألا وهو أن نستعمل المكنسة حتى نطهر ما بين العرب وما بين المسلمين، العمل التطهيري يمكننا إذ ذاك من أن نقيم بناءنا على أسس قويمة راسخة ثابتة.

ولا أريد أن تمر هذه الفرصة دون أن أنوه بالخصوص بوجود كاتبة(1) وعالمة ومفكرة عزيزة على كل مسلم تمتع بقراءة تعاليم الاسلام التي جعلت من المرأة شقيقة الرجل في الأحكام وكانت بالتبعية شقيقة له في الحقوق والواجبات، فجزاك الله خيراً عن المرأة الاسلامية والمرأة العربية، وجزاكم الله خيراً على ما قمتم به من دروس ووعظ وإرشاد وتوجيه، وعسى أن يجمعنا الله سبحانه وتعالى في القريب، في ظروف تكون أكثر ملاءمة، مع ما ننتظر من الله سبحانه وتعالى من أن يفرج كربتنا فيخفف أحزاننا، فإذا كان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، وهذا على ما أظن برنامج وضعه الله بشروط، بشروط صحته وشروط ظرفيته، وشروط كيفيته وكمه، فعلينا إذن أن نغير ما بأنفسنا حتى يغير الله ماهو محيط بنا من مكاره وسوء، ومن ضغائن ومؤامرات، لأننا بكل اعتزاز وفخر يمكننا أن نلقيها من أعلى الصوامع، أن نلقي تلك الآية التي نفتخر بها ونعتز، حيث ان الله سبحانه وتعالى جعلنا خير أمة أخرجت للناس، تأمر بالمعروف، وتنهي عن المنكر، وتومن بالله .



والترتيب — على ما أرى — المتسلسل تسلسلا منطقياً هو أن نومن بالله فننهي عن المنكر ونأمر بالمعروف.

حياكم الله وزادكم نصرة في العلم وزاد من وسائلكم للعمل البناء مع شعوبكم وطلبتكم ومجتمعكم، وشكراً لكم مرة أخرى على زيارتكم هذه ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يسدد خطانا ويلهمنا سواء السبيل، ويجعلنا ذلك البناء المرصوص الصحيح الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وباطل البناء هو التهدم والتصدع، فجعل الله بناءنا غير باطل غير متصدع غير مهدم، وأعطى لكل واحد منا على قدرنيته وعلى قدر إخلاصه، وعلى قدر ضميره وملاءمة أقواله لضميره، وملائمة أفعاله لسلوكه وفلسفته وإيمانه بالله.

والسلام عليكم ورحمة الله.

ألقي بالرباط

الثلاثاء 2 شوال 1387 — 2 يناير 1968

1) الدكتورة عائشة عبد الرحمان (بنت الشاطيء).